المخلدون في النار - دراسة في آراء علماء الإمامية -

أحمد قاسم قاسم

أستاذ في الحوزة العلميّة، طالب دكتوراه في الفقه الإسلاميّ - جامعة المصطفى العالميّة -قم

ملخّص

إنّ مسألة «من هم المخلدون في النّار» من الأسئلة المطروحة والّتي تحتاج إلى إجابة، وحاولنا في هذه المقالة بيان هذا الأمر عند الإماميّة، وهذه المسألة ليست بجديدة بل ظهرت منذ زمن الخوارج، وكانت أحد أسباب ظهور مذهب الاعتزال.

واستعملت لفظة الخلود إمّا بمعنى دوام البقاء وإمّا بمعنى طول المكث. وقد صرّح علماء المسلمون بخلود الكافر والمشرك في النّار، ووقع الخلاف بينهم في خلود غيرهما. وذهبت الإماميّة إلى القول بعدم خلود غيرهما.

وباستعراض القرآن الكريم نرى أنّه ذكر فيه عناوين عديدة فيها وعيد بالخلود في نار جهنّم منها المنافق، المكذّب، المستكبر، من يعصي الله ورسوله، ويتعدّى حدوده... ومن هنا لا بد من بيان المقصود، وأنّها ترجع كلّها إلى عنواني الكافر والمشرك فمن يحلف كذبًا هو المنافق، والمستكبر عن التّوحيد، ومن يتولى الّذين كفروا وهم أهل قريش أو اليهود والنّصارى، ومن يتولّى قومًا غضب الله عنهم هم المنافقون،....

والرّوايات في المقام بيّنت أنّ الكفّار والمشركين هم المخلدون في النّار، أمّا غيرهم فلا يخلدون فيها، وقد طبّقت ذلك على أعداء أمير المؤمنين عليه السلام وقتلة الإمام الحسين عليه السلام.

ولا يقال إنّه لا يوجد تناسب بين القول بالخلود في نار جهنّم مع العدل الإلهيّ، وذلك لأنّ الخلود في النّار ليست عقوبة جعليّة، بل إنّها الأثر لأفعاله في الحياة الدّنيا. فالعذاب الأخرويّ هو تجسيد للعمل الّذي قام به الشّخص في الدّنيا.

الكلمات المفتاحية:

المخلّد- الكافر- المشرك- علماء الإماميّة.

المقدّمة:

إنّ مسألة الجنّة والنّار من أهمّ المسائل المتعلّقة بمبحث المَعاد. وقد وقعت خلافات كثيرة في هذه المسألة بين المذاهب الإسلاميّة والأديان. منها كيفيّة عذاب الإنسان يوم القيامة، وهل هو عذاب ماديّ أو روحيٌّ وماديٌّ. وكذلك التّوفيق بين القول بالخلود في النّار وبين العدل الإلهيّ... ومن الأبحاث الّتي طُرحت في المقام والّتي حصل فيها الخلاف مسألة خلود بعض العنوانين في النّار كمرتكب الكبيرة، وآكل للرّبا، وقاتل المؤمن عمداً، والمؤمن الّذي خلط عملاً صالحًا بآخر غير صالح.

وفي هذه المقالة سنبيّن رأي علماء الإماميّة حول العناوين الّتي ذُكِرت أنّها مخلدةٌ في النّار. وللإجابة عن السّؤال التالي:»من هم المخلدون في النّار على رأي العلماء الإماميّة؟». وذلك من خلال بيان رأي الإماميّة وأنّه لا يخلد غير الكافر والمشرك في نار جهنّم، ومن ثمّ بيان كيفيّة التّوفيق بين ما ذهب إليه العلماء الإماميّة وما يمكن أن يتوهّم من أنّ القرآن الكريم قد صرّح بخلود عناوين أُخرى غير عنواني الكفر والشّرك، وذلك من خلال إرجاع كلّ تلك العناوين إلى الكفر والشّرك، وذلك من خلال اعتماد المنهج الاستقرائيّ، التّحليلي.

الكلمات المفتاحيّة: الخلود- الكافر- المشرك- العلماء الإماميّة.

■ أوّلاً: مقدّمات تمهيديّة

المقدّمة الأولى: لمحة تاريخيّة.

بعد وفاة النّبيّ الأكرمﷺ انقلبت الأمّة الإسلاميّة على أعقابها، وحادت عن جادة الحقّ ولم تتمسّك بأهل البيتعليهم السلام، وبدأت تظهر الخلافات والنّزاعات في شتّى ميادين الدّين الإسلاميّ.

ومن أوائل المسائل الكلاميّة الّتي وقع فيها الخلاف والنّزاع -بعد مسألة القضاء والقدر- هي

مسألة حكم مرتكب الكبيرة، وهل أنّه يخلد في النّار أم لا؟. وذكر بعض العلماء بأنّ حكم مرتكِب الكبيرة كان من أحد الأسباب الرّئيسة الّتي أدّت إلى ظهور مذهب الاعتزال، حيث قيل بأنّ واصل بن عطاء خالف أستاذه الحسن البصريّ واعتزل عنه في مسألة حكم مرتكّب الكبيرة[1]. وجذور هذه المسألة تعود إلى عهد الخوارج، حيث أجمعوا على كفر مرتكِب الكبيرة وأنّه يخلد في النّار[2] إلى زمن الحسن البصريّ الّذي حكم بأنّ مرتكِب الكبيرة منافق، ومن ثمّ خالفه تلميذه واصل بن عطاء وقال بأنّه في منزلة بين منزلتين.

المقدّمة الثّانية: تعريف الخلود

الخلود مصدر خلد وأتت بمعانٍ عدّة منها:

- البقاء والدّوام في دار لا يخرج منها[3].
- الثّبات والملازمة[4].
- تبرّي الشّيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة الّتي هو عليها، قال الرّاغب الأصفهانيّ: «اَلْخُلُودُ: هو تبرّي الشّيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة الّتي هو عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التّغيير والفساد تصفه العرب بالخلود،...»[5]. ويُقال للرّجل إذا بقي سواد رأسه ولحيته على الكبر إنّه لمخلِد، ويقال للرجل إذا لم تسقط أسنانه من الهرم: إنه لمخلِد[6].
- الاقامة واللّزوم في الأرض والرّكون إليها[7].

وممّا تقدّم ظهر أنّ الخلود يأتي إمّا بمعنى دوام البقاء، وإمّا بمعنى طول المكوث. وباقي المعاني المستخدمة تعود إلى أحد هذين المعنيين.

1- راجع: الشّهرستانيّ، ع: الملل والنّحَل، 1:62.
2- أبو زهرة، م: تاريخ المذاهب الإسلاميّة: 97.
3- ابن منظور،م: لسان العرب، 3: 164. الزّبيدي، تاج العروس،م: 4:437.
4- ابن فارس،أ: معجم مقاييس اللّغة، 2:207.
5- الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 1:291.
6- لسان العرب، 3:164.
7- لسان العرب، 3:164.

■ ثانياً: أقوال علماء الإماميّة في خلود الكافر فقط.

ذهب معظم علماء المسلمين إلى خلود الكافر والمشرك في نار جهنّم، لكن وقع الخلاف بينهم في خلود بعض العناوين من المسلمين كمرتكِب الكبيرة، والفاسق، والمؤمن الّذي خلط عمل صالح بعمل غير صالح، وآكل الرّبا وقاتل المؤمن عمدًا وغيرها من العناوين قال نصير الدّين الطّوسي: «وأمّا الّذي خلط عملاً صالحًا بعمل غير صالح، فاختلفوا فيه»[1].

أمّا العلماء الإماميّة صرّحوا بخلود الكافر والمشرك في النّار، أمّا غير الكافر والمشرك من المسلمين، فإنّه لن يخلد في النّار، وإن كان البعض منهم سيدخل النّار فعلاً، إلاّ أنّه سيخرج منها ولن يبقى خالدًا فيها. وفيما يلي سنعرض بعض الأقوال لعلمائنا الإماميّةن وما صرّحوا به في المقام.

- صرّح الشّيخ المفيد على أنّه لا يخلد في النّار إلاّ أهل الكفر والشّرك قال: «واعتقادنا في النّار أنّها دار الهوان، ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلاّ أهل الكفر والشّرك»[2].
- وفي تصحيح الاعتقاد قال إنّ النّار هي لمن جهل الله، وأنّه لن يخلد فيها إلاّ الكافر: «وأمّا النّار فهي دار من جهل اللّه سبحانه [...] وليس يخلد فيها إلاّ الكافرون»[3].
- الشّهيد الثّاني ممّن ادّعى الإجماع على خلود الكافر في النّار قال: «...لكن لا يلزم منه القدْح في الإجماع على أنّ كل كافر مخلّد في النّار»[4].
- السّيّد المرتضى نقل اتّفاق الإماميّة، على أنّ الوعيد بالخلود في نار جهنّم متوجّه للكفّار خاصّة، قال: «واتّفقتِ الإمامية على أنّ الوعيد بالخلود في النّار متوجّه على الكفّار خاصة»[5].
- نصير الدّين الطّوسي نقل هذا الاتّفاق أيضًا، قال:» اتّفقوا على أنّ المؤمن الّذي عمل عملاً صالحًا يدخل الجنّة ويكون خالدا فيها، وعلى أنّ الكافر يدخل جهنّم ويكون خالدًا فيها»[6].

1- الطّوسي، ن: قواعد العقائد، 107.
2- المفيد،م: سلسلة مؤلّفات الشّيخ المفيد، 5:77.
3- المفيد، تصحيح الاعتقاد: 118.
4- الشّهيد الثاني، حقائق الإيمان: 134.
5- المرتضى، الذّخيرة في علم الكلام: 25.
6- قواعد العقائد: 107.

■ ثالثاً: أقوال العلماء الإماميّة في عدم خلود غير الكافر.

ومن ناحية أُخرى ذكر العلماء الإماميّة ـ بالإضافة إلى خلود الكافر والمشرك في النّار، أنّ هناك بعض العناوين الّتي توعدَت الدّخول إلى النّار، إن دخل إليها صاحبها إلّا أنّه سيخرج منها بعد مدّة ولن يخلد فيها. وإليك عرض لأقوال بعضاً ممّن صرّح بهذا:

- الشّيخ المفيد نقل الاتّفاق على عدم خلود غير الكافر قال: «واتّفقت الإمامية على أنّ من عذّب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة والصّلاة، لم يخلد في العذاب وأُخرج من النّار إلى الجنّة، فينعم فيها على الدّوام»[1].
- وفي تصحيح اعتقادات الإماميّة قال: « وقد يدخلها -أي نار جهنّم- بعض من عرفه بمعصية اللّه تعالى، غير أنّه لا يخلد فيها بل يخرج منها إلى النّعيم المقيم»[2].
- السّيد المرتضى في الذّخيرة في علم الكلام: «وأمّا عقاب المعاصي الّتي ليست بكفر، فلا دليل على دوامه، بل قد دلّ الدليل على وجوب انقطاعه على ما سيأتي ذكره»[3].
- الشّيخ الصّدوق: «وأمّا المذنبون من أهل التّوحيد، فإنّهم يخرجون منها بالرّحمة الّتي تدركهم، والشّفاعة الّتي تنالهم»[4].
- العلاّمة الحِليّ في كشف المراد:»اختلفوا في أصحاب الكبائر من المسلمين: فالوعيديّة على أنّه كذلك، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أن عذابه منقطع»[5].
- الشّيخ إبراهيم بن نوبخت في كتابه الياقوت، قال بأنّ الفاسق المؤمن لا يخلد في نار جهنّم قال: «والفاسق المؤمن لا يخلّد في النّار»[6].

1- سلسلة مؤلّفات الشّيخ المفيد، 4:46.
2- تصحيح الاعتقاد:118.
3- الذخيرة في علم الكلام، 300.
4- الاعتقادات للشّيخ الصدوق:77.
5- الحليّ،ح: كشف المراد في شرح الاعتقاد: 274.
6- بن نوبخت، إ: الياقوت في علم الكلام: 67.

■ رابعاً: العناوين المذكورة في القرآن أنّها خالدة في نار جهنّم.

بعد أن بيّنا أنّ علماء الإماميّة قد ذهبوا إلى القول بخلود الكافر والمشرك في النّار دون غيرهما، إلاّ أنّه من يقرأ القرآن الكريم يرى أنّه ذكر عناوين كثيرة صرّح بأنّ أصحاب هذه العناوين مخلّدين في نار جهنّم. وقد وردت كلمة الخلود ومشتقاتها في القرآن الكريم تسعة وثمانون مرّة، ثمانيّة وثلاثون مرّة مرتبطة بجهنّم. وقد استقصيت بحسب تتبّعي واحدًا وعشرين عنوانًا للمخلّدين في نار جهنّم، نذكرها على نحو الإجمال مع إرجاعها لمصدر واحد لها.

بيّنت الآيات أنّ الخالدين في نار جهنّم هم الكافر[1]، المشرك[2]، المنافق[3]، المكذّب[4]، المستكبر[5]، الشّياطين[6]، الّذي أشرك به[7]، من يتولّى الّذين كفروا[8]، من يتولّى قومًا غضب الله عليهم[9]، المُعرِض عن الذّكر[10]، من يحادد الله ورسوله[11]، من يعصي الله ورسوله ويتعدّى حدوده[12]، الآكلون للرّبا[13]، من يقتل مؤمنًا متعمّدًا[14]، الّذين كسبوا السّيئات[15]، من كسب سيئة وأحاطت به الخطيئة[16]، من خفّت موازينه[17]، المجرمون[18]، الاشقياء[19]،

1- آل عمران: 116.
2- البيّنة: 6.
3- التّوبة: 68.
4- المجادلة: 14-18.
5- النّحل: 29.
6- الحشر: 17/16.
7- الأنبياء: 98-99.
8- المائدة: 80.
9- المجادلة: 14-18.
10- طه: 101/100.
11- التّوبة: 63.
12- النّساء: 14.
13- البقرة: 275.
14- النساء: 93.
15- يونس: 27.
16- البقرة: 81.
17- المؤمنون: 103.
18- السّجدة: 12-14.
19- هود: 107/106.

المرتكبون للقبائح[1]. وهناك بعض الآيات قد جمعت أكثر من صفة مع بعضها البعض، فعلى سبيل المثال ورد صفتي المكذّب بآيات الله والمستكبر[2].

■ خامساً: أقوال مفسّريّ الإماميّة في الآيات المذكورة.

وبعد هذا العرض للآيات القرآنيّة يتبيّن لنا جليًّا، أنّ القرآن الكريم قد ذكر عناوين غير عنواني الكفر والشرك، واعتبرهم من المخلّدين في النّار. والسّؤال كيف ذهب علماء الإماميّة إلى القول بخلود الكافر والمشرك في النّار فقط، مع أنّ القرآن الكريم ذكر عناوين أُخرى غير هذين العناوين؟

وعليه سيتوّجه البحث في هذا الفصل، لبيان أقوال علماء التّفسير الإماميّة في بيان هذه الآيات المباركة، وأنّها جميعها ترجع إلى عنواني الكفر والشرك. وسيكون عرض هذه الأقوال بشكل مختصر لبعض كتب التّفسير بما يفي في الغرض إن شاء الله تعالى. وسنعتمد على كتب تفسيريّة متقدّمة كتفسير مقاتل بن سليمان (القرن الثّاني)، وتفاسير من (القرن الخامس والسّادس) كتفسيري البيان والتّبيان، وتفاسير متأخّرة كتفسير الصافي (القرن الحادي عشر)، وتفاسير معاصرة كتفسير الميزان وتفسير الأمثل. ولن نتعرّض في هذا الفصل للتفاسير الرّوائيّة، لأنّنا سنحاول استقصاء كلمات المفسّرين بغضّ النّظر عن الرّوايات الواردة في المقام، والّتي سيأتي البحث عنها.

وقبل البَدْء بعرض أقوال المفسّرين، يوجد بعض العناوين الّتي لا تحتاج إلى بحث وهي:

- الكافر والمشرك.
- المرتدّ الّذي مات وهو كافر.
- المنافق. لوضوح أنّ المنافق هو من أحد أصناف الكافر.
- الشّيطان. وإخراج هذا العنوان لأنّه خارج عن محل البحث، لأنّنا نبحث عن المخلّدين

1- الفرقان: 63-69.
2- الأعراف: 36.

في نار جهنّم من النّاس.

- الّذي أُشرِك به. صرّح المفسرون أنّ المقصود من هذه الصّفة هم الأصنام أو الّشياطين[1]، وعليه يكون أيضًا خارجًا عن محلّ البحث.

- أمّا باقي العناوين فإنّنا سنذكر بعض الأقوال الّتي وردت في بعض الآيات، والّتي سيتّضح منها أنّها كلّها عناوين للكافر، أو المشرك وإليك بيان ذلك:

العناوين الّتي تحتاج إلى بحث:

- من يحلِف كذِبًا.

إنّ هذه الصّفة ناظرة إلى المنافقين، فهم من يحلفون على الكذب[2]، وهذا ما بيّنه صريحًا الشّيخ الطّوسيّ في التّبيان، قال:»... لما ذكر اللّه تعالى المنافقين بأنّهم تولّوا قومًا من اليهود، الّذين غضب اللّه عليهم وذكر ما أعدّه لهم من العقاب، وذكر أنّهم يحلفون على الكذب، مع علمهم بأنّهم كاذبون، قال:» إنهم اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ التي يحلفون بها...»[3]. فقوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[4]، الضّمير المتّصل «هم» في قوله «وَلا مِنْهُمْ» يعود إلى اليهود، والضّمير المتصل «هم» في قوله «عَلَيْهِمْ» يعود للمنافقين، فيكون المعنى أنّ هؤلاء المنافقين لتذبذبهم بين الكفر والإيمان، ليسوا منكم ولا من اليهود[5].

- المُستكبِر.

ذُكِرَت صفة الإستكبار في موردين في القرآن الكريم، وذلك في سورة النّحل الآية 29، وفي سورة الزُّمَر الآية 72، وفي كلا الموردين كان الكلام عن الكافر، فمثلاً ورد في الآية السّابقة عليها في

1- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان،3:93، الطّوسي،م: التّبيان في تفسير القرآن 7: 280، الطّبرسي،ف: تفسير جوامع الجامع 3:29.
2- تفسير مقاتل بن سليمان، 4:251.
3- التّبيان في تفسير البيان،9:553.
4- المجادلة:14.
5- الطّبطبائيّ، م:الميزان، 19:193.

سورة الزمّر ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، فالمُستفاد هاهنا أنّ التكبر صفة للكفّار، ولذلك استوجبوا الخلود في نار جهنّم، فهم المتكبّرون عن التّوحيد[2].

فالاستكبار بما هو استكبار إنْ لم يصل إلى حدّ الكفر، ليس موجبًا للخلود في نار جهنّم[3]. وسياق الآيتين التّاليتين: «﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾[4]، واضح في كون صفة الاستكبار عائدة إلى الكافر. وتأكيد الآيات على صفة الاستكبار لأنّها تعدّ المصدر الأساسيّ للكفر، كما ذكر الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ قال: «والّذي يلفت النّظر، هو أن ملائكة العذاب تؤكّد على مسألة التّكبر من بين بقية الصّفات الرّذيلة، الّتي تؤدّي بالإنسان إلى السّقوط في نار جهنّم، وذلك إشارة إلى أن التّكبر، والغرور، وعدم الانصياع، والاستسلام أمام الحقّ هو المصدر الرّئيسيّ للكفر والانحراف وارتكاب الذّنب»[5].

- المكذِّب المستكبِر.

وردت آية جمعت عنواني الاستكبار والكذب مع بعضهما البعض، وأنّ صاحب هذه الصفة في النّار خالدًا فيها، والمقصود من هذه الصّفة هو المكذّب بآيات الله، والمستكبر عن التّوحيد، والمتكبّر على الإيمان بآيات الله[6]، والمكذّب بآيات الله كافر كما ذهب إليه الشّيخ الطّوسيّ، قال:» فالتّكذيب بآيات اللّه كفر، والتّكذيب بالطّاغوت إيمان، فلذلك توعّد على التّكذيب بآيات اللّه بعقاب الأبد»[7].

1- الزمر: 71.
2- تفسير بن مقاتل،3: 688.
3- الميزان،17:297.
4- الزّمر: 71-72.
5- الشّيرازي، ناصر مكارم،الأمثل،15:165.
6- تفسير بن مقاتل،2:35.
7- التّبيان في تفسير القرآن، 4 :394.

- من يتولّى الّذين كفروا.

ذُكِر هذا العنوان في سورة المائدة، والمقصود بهذا العنوان هنا، إمّا أهل قريش[1] الّذين كفروا بالنّبيّ محمّد، وإمّاالمقصود اليهود والنّصارى[2]، الّذين تولّوا الكفّار فأصبحوا كفّارًا مثلهم. فهذا العنوان أيضاً من العناوين الّتي تعود إلى الكفر.

وذُكِر هذا العنوان أيضاً في سورة الأنعام»﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٢٨﴾[3]، والمقصود من قوله تعالى «يا معشر الجنّ» الشّياطين[4].. ذكر العلاّمة الطّبطبائيّ في المقام: « ولا يبعد أن يستظهر من هنا، أنّ المراد بالجنّ الشّياطين الّذين يوسوسون في صدور النّاس من الجنّ»[5]. والاستثناء الوارد في الآية «إلاّ ما شاءَ اللَّهُ» أيْ إلاّ ما شاء الله من أوقات حشرهم من قبورهم، ومقدار مدّتهم في محاسبتهم؛ وقيل إنّ الاستثناء لغير الكفّار من عُصَاة المسلمين فإنّهم في مشيّة اللّه إن شاء- سبحانه- عذّبهم وإن شاء عفا عنهم؛ أو لمن آمن من الكفّار[6]، أو أنّ هذا الاستثناء فيه دلالة على بقاء القدرة الإلهيّة على إمكانيّة إخراجهم منها وإن كان لا يخرجهم[7].

- من يتولّى قومًا غضب الله عليهم المُكذّبين.

والمقصود من هذا العنوان هم المنافقون[8]، وأنّ هؤلاء المنافقين يحلفون على الله الكذب مع علمهم بأنّهم كاذبون، ولذلك كان جزاؤهم نار جهنّم، خالدين فيها أبداً لا يخرجون منها[9].

1- تفسير مقاتل بن سليمان، ج1 ص496.
2- التّبيان في تفسير القرآن،3:611، مجمع البيان،3:358.
3- الأنعام: 128.
4- تفسير جوامع الجامع، ج2 ص409.
5- الميزان،7:352.
6- تفسير جوامع الجامع،2:409.
7- الميزان،7:353.
8- تفسير مقاتل،4:263، مجمع البيان،9:384.
9- التبيان،9:553.

والقوم الّذين تولّوهم والّذي غضب الله عليهم هم اليهود[1]، وهؤلاء المنافقون لتذبذبهم بين الكفر والإيمان ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود، وهذه صفتهم بحسب ظاهر حالهم، وأمّا بحسب الحقيقة فهم ملحقون بمن تولّوه[2].وذكرنا سابقاً أنّ المنافق هو بالواقع كافر.

- من أعرض عن الذّكر.

والمقصود من الإعراض عن الذّكر هو الإعراض عن الإيمان بالقرآن الكريم[3]، أو الإعراض عن التّصديق بما أخبر الله النّبيّ محمّد به وعن توحيد اللّه، واخلاص عبادته[4]. وسواء قلنا بالمعنى الأوّل أو المعنى الثّاني فكلاهما يؤدّي إلى الكفر. لأنّ الإعراض عن الإيمان بالقرآن الكريم، وترك الإيمان به يؤدّي إلى الكفر، والإعراض عن ذكر الله هو أعراض عن الله تعالى، والإعراض عن الله سبحانه وتعالى يجرّ الإنسان إلى متاهات كبيرة تحمل أعباءً ثقيلة من أنواع الذّنوب، والانحرافات الفكريّة والعقائديّة[5].

- من يُحادِدِ الله ورسوله.

وهذا العنوان أيضاً من العناوين الّتي وردت في حقّ المنافقين، فهم من يعادون الله عزّ وجلّ ورسوله[6]، وقد اتّضح لدينا أنّ المنافق هو نوع من أنواع الكفار، ولذلك استحقّ نار جهنّم خالدًا فيها.

- من يعصي الله وسوله.

ورد هذا العنوان كما بيّنا سابقًا في آيتين، الأولى فيها عبارة «يتعدّى حدوده» وذلك في سورة النّساء، والثّانية في سورة الجنّ من دون العبارة المذكورة.

والمقصود من معصيّة الله الواردة في الآيتين الموجبة للخلود في نار جهنّم، هي العصيان في

1- الميزان،19:193.
2- الميزان،19: 193.
3- تفسير مقاتل، ج3 ص41، تفسير جوامع الجامع، ج2 ص436.
4- التبيان، 7:206.
5- الأمثل،10:74.
6- تفسير مقاتل،2:178، مجمع البيان،5:70.

الكفر[1]، أو العصيان الموجب لتعدّي كلّ الحدود، وبالتّالي يكون كافراً[2].

وكون المعصية هنا هي الكفر، واضح من خلال سياق الآية الثّانية كما ذهب إليه العلامّة الطّبطبائيّ، وبالتّالي فليس مطلق المعصية ما لم توجب الكفر، موجبة للخلود في نار جهنّم قال: «والمراد بالمعصية- كما يشهد به سياق الآيات السّابقة- معصية ما أمر به من التّوحيد أو التّوحيد وما يتفرّع عليه من أصول الدّين وفروعه، فلا يشمل التّهديد والوعيد بخلود النّار، إلّا الكافرين بأصل الدّعوة دون مطلق أهل المعصية المتخلّفين عن فروع الدّين، فالاحتجاج بالآية على تخليد مطلق العُصاة في النّار في غير محلّه»[3]. وأستفاد من الآية الواردة في سورة النّساء ﴿**وَمَن يَعصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدخِلهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِين**﴾[4]. إنّ المعصية هي تعدٍّ لكلّ الحدود، ولذلك جمعت كلمة حدود.

- آكل الرّبا

سياق الآية الوارد فيها عنوان أكل الرّبا يدلّ على أنّ العود في قوله تعالى:﴿...وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[5] مقابل الانتهاء في قوله تعالى:﴿...فَمَن جَاءَهُۥ مَوعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ..﴾[6].» والعود إلى الرّبا يعد كفرًا لأنّه إصرار على الذّنب قال العلاّمة الطّبطبائيّ: «وأمّا قوله:ط وَمَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ، فوقوع العود في هذه الجملة في مقابل الانتهاء الواقع في الجملة السابقة يدلّ على أن المراد به العود الذي يجامع عدم الانتهاء، ويلازم ذلك الإصرار على الذّنب وعدم القبول للحكم، وهذا هو الكفر أو الرِدّة باطنًا، ولو لم يتلفّظ في لسانه بما يدلّ على ذلك، فإنّ من عاد إلى ذنب ولم ينته عنه ولو بالنّدم، فهو غير مسلم للحكم تحقيقًا ولا يفلح أبدًا.»[7]. وعليه فليس المقصود هنا أنّ الآكل للرّبا بما هو آكل للرّبا مستحقّ للخلود في النّار، بل إنّ العود إلى أكل الرّبا بعد أن حرّمه

1- تفسير مقاتل،4:465.
2- التّبيان،3:141، مجمع البيان،3: 32.
3- الميزان،20:52.
4- النّساء: 14.
5- البقرة: 275.
6- البقرة: 275.
7- الميزان،2:418.

الله تعالى يوجب الكفر. فمن يقلْ، ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من أنّ البيع مثل الرّبا فهو كافر، فهذا القول لا يصدر إلاّ من كافر[1]. ولهذا اعتبر الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي أنّ هذه الآية، وإن كانت ناظرة إلى الآكلون للرّبا، ولكن نتيجة إصرارهم على أكل الرّبا بعد التّحريم دليل على أنّ إيمانهم غير صحيح، أي أنّهم كفّار[2].

- قاتل المؤمن عمدًا.

وهذا العنوان فهو للكافر الّذي يقتل المؤمن عمدًا لإيمانه، وعاقبته على هذا الفعل هي الموت كافرًا، وبالتّالي يستحقّ الخلود في نار جهنّم[3]، وممّا يؤيّد هذا المعنى أنّ الآية نزلت في إنسان ارتدّ، ثمّ قتل إنسانًا مؤمنًا لإيمانه.

وإن لم نقبل كون المقصود من هذه الآية هو الكافر الّذي يقتل المؤمن لإيمانه، لأنّها مطلقة، إلاّ أنّه يمكن أن يقال بأنّ الآية مقيّدة ببعض الآيات الأخرى، الّتي صرّحت بأنّه لا يخلد في النّار إلاّ الكافر والمشرك. قال العلاّمة الطّبطبائيّ في المقام: «وقد أغلظ الله سبحانه و تعالى في وعيد قاتل المؤمن متعمّدًا بالنّار الخالدة غير أنّك عرفت في الكلام على قوله تعالى ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ...**﴾[4] أن تلك الآية، وكذا قوله تعالى ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾[5] تصلُحان لتقييد هذه الآية، فهذه الآية تعد بالنّار الخالدة لكنّها ليست بصريحة في الحتم، فيمكن العفو بتوبة أو شفاعة.»[6]، أو أن يقال بأنّ معنى الخلود هنا الاستمرار في العذاب لأمدٍ طويل، وهذا ما ذكره الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ بعد ذكره للاحتمالات المقصود من قتل المؤمن عمدًا في هذه الآية. فالخلود في النّار إمّا أن يكون بسبب أنّ القاتل كافر، وذلك إذا كان مبرر القتل هو إيمان الشّخص المقتول، وبالتّالي فإنّ استباحه دمه كان بسبب إيمانه، ومن يرتكب جريمة من هذا النّوع لا شكّ في كونه كافر لا إيمان له، وإمّا أن يكون سبب خلود قاتل المؤمن، هو أنّ من

1- مجمع البيان،2:671.
2- الأمثل،2:341.
3- التّبيان،3:295.
4- النّساء:48.
5- الزمر:53.
6- الميزان،5:41.

يقوم بهذا الذّنب إمّا أن يكون مسلوب الإيمان، أو أنّه سيسلب منه الإيمان، وبسبب تعمّده قتل إنسان مؤمن بريء، فلا يَحظى بفرصة للتّوبة عن جريمته، وإن لم نقل بهذين الاحتمالين، فلابدّ من تأويل الخلود هنا بالبقاء أمدًا طويلا[1]. ولكن بملاحظة مورد نزول هذه الآية فإنّنا نذهب إلى الاحتمال الأوّل. وممّا يؤيّد هذا الأمر ما ورد من روايات في المقام، فقد رُوي في الكافي عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ [خالداً فيها]، قَالَ:» مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً عَلَى دِينِهِ فَذَلِكَ الْمُتَعَمِّدُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ- وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً»، قُلْتُ:» فَالرَّجُلُ يَقَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ شَيْءٌ فَيَضْرِبُهُ بِسَيْفِهِ فَيَقْتُلُهُ»، قَالَ:» لَيْسَ ذَلِكَ الْمُتَعَمِّدَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

- الّذين يكسبون السّيئات.

المقصود من السّيئة الّتي يكتسبها أصحاب هذا العنوان، هو سيّئة الشّرك، وجزاء السّيئة مثلها، فجزاء الشّرك الخلود في نار جهنّم[3]، وهم أهل البدع والشّبهات والشّهوات[4]. وسياق الآية بيّن أنّ هؤلاء هم مشركون ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾[5].

- من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته.

المقصود من كسب السّيئة هنا أيضًا هو الشّرك، والإحاطة يعني الموت على الشّرك[6]. وهذا القول هو ما يتوافق مع مذهبنا[7]. وقد يُقَال أنّها لا تتحقّق الإحاطة إلاّ بالكفر أو الشرّك وبالتّكذيب بآيات الله[8].

1- الأمثل،3:387.
2- الكليني،7:276،ح1.
3- تفسير مقاتل،2:236.
4- الفيض الكاشاني، تفسير الصّافي،2:400.
5- الأنعام: 22.
6- تفسير،1: 119.
7- مجمع البيان،1:25.
8- الميزان،1:215-216.

والشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ فلسف هذا الأمر بكيفيّة جميلة قال: «بعبارة أوضح، الذّنوب الكبيرة والصّغيرة تبدأ على شكل «فعل» ثمّ تتحوّل إلى «حالة» ومع الاستمرار والإصرار تتحوّل إلى «ملكة». وعند اشتدادها تغمر وجود الإنسان وتصبح عين وجوده. عندئذٍ لا تُجدي مع هذا الفرد موعظة، ولا يؤثّر فيه توجيه ولا نصح، إذ إنّه عمل عن اختيار على قلب ماهيته، فمثلهم مثل دودة القزّ الّتي تلفّ حولها من نسيج الحرير، حتّى تمسي سجينة عملها. الآية الكريمة تتحدّث عن خلود مثل هؤلاء الأفراد في النّار، وهذا يعني أنّ هؤلاء يغادرون الدّنيا وهم مشركون»[1].

- من خفّت موازينه، خفّة الميزان.

خفّة الوزن هنا تعني الكفر[2]، فالنّاس يوم القيامة على أصناف، فمنهم من يحاسب حسابًا يسيراً، ومنهم من يدخل الجنّه من دون حساب، ومنهم من يحاسب حسابًا عسيراً، ومنهم من لا يقيم لهم وزنًا، وهم أئمة الكفر، وقادة الضّلال فهم في جهنّم خالدين فيها تلفح وجوهم النّار[3].

- المجرمون.

المقصود من المجرمين في الآيات الّتي ذكر فيها هذا العنوان، والّتي اعتبرت أصحاب هذا العنوان خالدين في نار جهنّم هم المشركون[4]، أو الكافرون[5]، وهم أعداء محمّد وآل محمّد[6] صلى الله عليه وآله وسلم.

وليس المقصود هنا كل مجرّم يخلّد في نار جهنّم، بلِ المراد المجرمون الّذين اتخذوا الكفر سبيلاً لهم[7]، فإنّ جهنّم ستمتلئ منهم بكفرهم باللّه، وجحدهم وحدانيته، وكفرانهم نعمه[8]. والعلاّمة الطّبطبائيّ قد ذهب إلى أنّ هؤلاء المجرمين هم المنكِرون للمَعَاد[9].

1- الامثل،1:281.
2- تفسير،3:166.
3- البحرانيّ،ها:البرهان في تفسير القرآن،5:826.
4- تفسير مقاتل،3:802.
5- تفسير،3:450.
6- تفسير الصافي،4:400.
7- الأمثل، 16: 97.
8- التبيان،8:301، مجمع البيان،8:515.
9- الميزان،16: 252.

- الأشقياء.

وردت هذه الصّفة معلّقة على مشيئة الله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾[1]. فإنّ الاستثناء الوارد إلاّ ما شاءَ رَبُّكَ استثناء للموحدين. وصّرح الشّيخ الطّوسي في التّبيان، بأنّ هذا المعنى هو ما يتوافق مع مذهبنا قال: «فالّذي نختاره- ويليق بمذهبنا في الأرجاء- إنّ اللّه تعالى أخبر أنّ الأشقياء المستحقّين للعقاب يحصلون في النّار، ثم استثنى من أراد من فساق أهل الصّلاة إذا أراد التّفضّل بإسقاط عقابه، أو من يشفع فيه النّبيّ ﷺ فإنّه عند ذلك لا يدخله النّار وتكون على هذا- (ما) معناها (من) كأنه قال إلاّ من شاء ربك، فلا يدخله النّار»[2].

وأمّا المقصود من دوام السّماوات والأرض تأكيد الخلود، والمعنى دائمين فيها دوام السماوات والأرض[3].

- المرتكبون للقبائح.

وهؤلاء المرتكبون للقبائح هم الكفار المشركون، وذلك لأنّ الآيات السّابقة قد برّأت الأفعال القبيحة عن المؤمنين، الّتي كان الكافرون عاكفين عليها[4]، ومن يفعل ذلك من المعاصي من الشّرك، وقتل النّفس المحترمة، والزنا فإنّ جزاؤه نار جهنّم[5].

هذا إذا قلنا أنّ المقصود من الآية هي ارتكاب كلّ هذه المعاصي حتّى يخلد بنار جهنّم. ولكن لو قلنا بأنّ الآية تدلّ على أنّ استحقاق الخلود يتحقّق بارتكاب معصيّة واحدة من هذه المعاصي، فإنّ هذا القول يتوجّه بناءً على القول، بأنّ ارتكاب واحدة من هذه المعاصي تؤدّي بالإنسان أن يموت على الكفر[6].

■ سادساً: الرّوايات الواردة في المقام.

1- هود: 106-107.
2- التبيان،6:68.
3- الميزان، 11:24.
4- تفسير جوامع الجامع،3:146.
5- الميزان،15:241.
6- الأمثل،11:313.

إنّ روايات أهل البيت كثيرة وصريحة، في أنّ الكافر والمشرك من يخلد في نار جهنّم دون غيرهم، وقال الشّيخ الحُرّ العامليّ في المقام: «والآيات والرّوايات في ذلك كثيرة جدًّا، وقد روى في كثير من المحرّمات أنّ من فعلها لا يدخل الجنّة، وهو مخصوص بمن يستحلّها بعد ثبوت التّحريم، فإنّه يكفر أو محمول على أنّه لا يدخلها قبل العذاب»[1]. من الرّوايات الّتي ذكرت أنّه لا يخلد إلاّ أهل الكفر والشّرك.

- نقل الشّيخ الصّدوق في التّوحيد عن محمّد بن أبي عمير قال: «سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ لَا يُخَلِّدُ اللَّهُ فِي النَّارِ إِلَّا أَهْلَ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَأَهْلَ الضَّلَالِ وَالشِّرْكِ... الرواية»[2].
- ابن بابوية في الخصال بإسناده عن الرّضا عليه السلام في كتاب طويل كتبه إلى المأمون قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُدْخِلُ النَّارَ مُؤْمِناً وقَدْ وَعَدَهُ الْجَنَّةَ ولَا يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ كَافِراً وقَدْ أَوْعَدَهُ النَّارَ والْخُلُودَ فِيه»[3].

وأيضا ذكرت الرّوايات بأنّ غير الكفار والمشركين لا يخلدون في نار جهنّم منها:

- حسين بن سعيد الأهوازيّ في كتاب الزّهد عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ إِنَّ قَوْماً يُحْرَقُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا صَارُوا حُمَماً أَدْرَكَتْهُمُ الشَّفَاعَةُ، قَالَ، فَيُنْطَلَقُ بِهِمْ إِلَى نَهَرٍ يَخْرُجُ مِنْ رَشْحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَتَنْبُتُ لُحُومُهُمْ ودِمَاؤُهُمْ وتَذْهَبُ عَنْهُمْ قَشَفُ النَّارِ، ويَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيُّونَ فَيُنَادُونَ بِأَجْمَعِهِمْ، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنَّا هَذَا الِاسْمَ، قَالَ، فَيُذْهِبُ عَنْهُمْ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّ أَعْدَاءَ عَلِيٍّ هُمُ الْخَالِدُونَ فِي النَّارِ لَا تُدْرِكُهُمُ الشَّفَاعَةُ»[4].
- سليم بن قيس الهلاليّ نقل رواية طويلة عن أمير المؤمنين
- عليه السلام يقول فيها: «...ومِنْهُمْ مَنْ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ ثُمَّ يَشْفَعُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ والْأَنْبِيَاءُ والْمُؤْمِنُونَ

1- الحرّ العامليّ، م: الفصول المهمّة في أصول الأئمة،1:380.
2- التوحيد، (الصدوق):407،ح6.
3- محمّد بن علي بن بابويه، الخصال،2:608، ح9.
4- الأهوازي، حسين بن سعيد، الزهد: 96.

فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيُسَمَّوْنَ فِيهَا الجهنميون...»[1].

- ابن بابوية في الخصال نقل رواية طويلة عن الإمام الباقر قال: «... وَأَصْحَابُ الْحُدُودِ فُسَّاقٌ لَا مُؤْمِنُونَ ولَا كَافِرُونَ ولَا يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ، ويَخْرُجُونَ مِنْهَا يَوْماً والشَّفَاعَةُ جَائِزَةٌ لَهُمْ ولِلْمُسْتَضْعَفِينَ إِذَا ارْتَضَى اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ دِينَهُم...»[2].

- وأورد العيّاشي في تفسيره رواية عن زرارة أنّه سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام في قَوْلِ اللَّهِ «وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ» إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ- قَالَ: هَاتَانِ الْآيَتَانِ فِي غَيْرِ أَهْلِ الْخُلُودِ- مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ والسَّعَادَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَجْعَلَهُمْ خَارِجِينَ- ولَا تَزْعُمْ يَا زُرَارَةُ إِنِّي أَزْعُمُ ذَلِكَ[3].

- ورد في تفسير البُرهان عن فَضَالَةُ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَمَّنْ أُدْخِلَ فِي النَّارِ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا ثُمَّ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ قَالَ إِنْ شِئْتُ حَدَّثْتُكَ بِمَا كَانَ يَقُولُ فِيهِ أَبِي قَالَ إِنَّ أُنَاساً يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا كَانُوا حُمَماً [حَمِيماً] فَيُنْطَلَقُ بِهِمْ إِلَى نَهَرٍ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ الْحَيَوَانُ فَيُنْضَحُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَائِهِ فَتَنْبُتُ لُحُومُهُمْ ودِمَاؤُهُمْ وشُعُورُهُمْ»[4].

- في تفسير البرهان عن حُمْرَانَ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ:» إِنَّ الْكُفَّارَ وَ الْمُشْرِكِينَ يُعَيِّرُونَ [يَرَوْنَ] أَهْلَ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ فَيَقُولُونَ مَا نَرَى تَوْحِيدَكُمْ أَغْنَى عَنْكُمْ شَيْئاً وَمَا أَنْتُمْ وَنَحْنُ إِلَّا سَوَاءٌ قَالَ فَيَأْنَفُ لَهُمُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ اشْفَعُوا فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا تَبْلُغُهُ الشَّفَاعَةُ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ اخْرُجُوا بِرَحْمَتِي فَيَخْرُجُونَ كَمَا يَخْرُجُ الْفَرَاشُ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع ثُمَّ مُدَّتِ الْعُمُدُ وَأُعْمِدَتْ [وَأُصْمِدَتْ] عَلَيْهِمْ وَكَانَ وَاللَّهِ الْخُلُودُ»[5].

وذكرت بعض الروايات أنّ المخلّدين في النّار هم أعداء أمير المؤمنين، فقد روي عَنْ مَنْصُورٍ

1- الهلالي، س: كتاب سليم، 2:611،ح7.
2- الخصال،2:608،ح9.
3- العيّاشي، تفسير العيّاشي، 2: 160.
4- البرهان في تفسير القرآن، 3:133.
5- البرهان فى تفسير القرآن،3:133.

بْنِ حَازِمٍ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع: «وما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ» قَالَ: أَعْدَاءُ عَلِيٍّ ع هُمُ الْمُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِين[1].

وفي الكافي عن أحدهما عليهما السّلام قال: «فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ- بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ قَالَ إِذَا جَحَدَ إِمَامَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع- فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُون»[2].

وممّن ورد في حقّهم الخلود في النّار هم أعداء الإمام الحسين عليه السلام الّذين كانوا في كربلاء، فقد ورد في تفسير الفُرَاتُ: «حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيُّ مُعَنْعَناً عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: كَانَ الْحُسَيْنُ [ع] مَعَ أُمِّهِ تَحْمِلُهُ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ص وَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَك [...] يَخْرُجُ [عَلَيْهِمْ] شِرَارُ أُمَّتِي وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَوْ [وَ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ لو أن] يَشْفَعُ [شَفَعَ] لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرَضِينَ مَا شُفِّعُوا فِيهِ وَ هُمُ الْمُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ...»[3].

■ سابعاً: شُبهة وردها.

ومن المناسب في المقام ذكر شبهة قد وقعت محلاًّ للنّزاع بين القوم، وخلاصتها كيف يصحّ الخلود في النّار مع كون الذنب منقطعاً؟.

تقرير الشّبهة

إذا نظرنا إلى الشّخص الّذي توعّده الله تعالى بالخلود في نار جهنّم، نجده قد عاش في الدّنيا سنوات محدودة قد تصل إلى ثمانين أو تسعين سنّة، ولنفرض أنّه قد عاش كلّ هذه السّنوات وهو غارق بالذّنوب والمعاصي الموجبة للخلود في النّار. فإذا لاحظنا الذّنوب المرتكبة وقارنّاها بالعقوبة، نجد أنّ هذه الذّنوب محدودة وأمّا العقوبة المتوعّدة فهي الخلود في نار جهنّم. ومن الواضح عدم وجود تناسب بين الذّنب والعقوبة، وهذا خلاف العدل الإلهيّ. فهل ينسجم العذاب الدّائم مقابل ذنب محدود مع أصل العدل الإلهيّ؟.

1- تفسير العياشي،1:73.
2- الكافي،1:429، ح82.
3- الكوفي، ف: تفسير فرات الكوفي،171.

الجواب

ذكر في المقام أجوبة عدّة، فمنهم من ذهب إلى أنّ الخلود في الآيات قد استعمل بالمعنى المجازي، ومنهم من ذهب إلى أنّ من يستحقّ الخلود يبقى في جهنّم، إلّا أنّ النّار تنطفئ بعد مدّة، أو أنّ أهل النّار بعد فترة يتأقلمون مع النّار، وبالتّالي لا يشعرون بعد ذلك بالعذاب...

ولكن كلّ هذه التّأويلات خلاف ظاهر الآيات القرآنيّة، والصّحيح في المقام أنّ يقال:»العقوبة تارة تكون عقوبة جعليّة بجعل جاعل، وأخرى تكون العقوبة أثرًا وضعيًّا للعمل الّذي يقوم به الشّخص.

ونوضح لك هذا بالمثال التّالي: شخص كان يقود السّيارة بشكل متهوّرن بحيث اصطدم بشخص فقتله، وهو تعرض لبتر في عضو من أعضائه مثلاً. فهذا الشّخص سيتعرّض لأمرين، الأوّل العقوبة الوضعيّة، وهي دفع غرامة مالية، والثّاني العقوبة الّتي تعدّ أثرًا وضعيًّا لفعله وهي: أن يعيش طول حياته مبتور العضو. والعقوبة الأولى، لا بدّ أن تكون متوافقة مع الذّنب الّذي أتى به وعليه، مثلاً لو حكمنا على هذا الشّخص بعقوبة الإعدام فإنّه يقال هنا أين العدالة؟ ولكن أن يعيش طول حياته مبتور العضو، مع أنّ وقت الاصطدام كان للحظات، فإنّه يقال، هذا نتيجة لفعله وتهوره.

والمقام يوم القيامة من قبيل الثّاني لا الأوّل، فإنّ الخلود في النّار ليس عقوبة جعليّة، حتّى يردّ الإشكال بل إنّها الأثر لأفعاله في الحياة الدّنيا. فالعذاب الأخرويّ هو تجسيد للعمل الدّنيويّ الّذي قام به الشّخص.

والله عزّ وجلّ قد أوضح وبيّن، في أنّ ثمار العمل الّذي يقوم به الكافر والمشرك، هو الخلود في نار جهنّم، وبالرّغم من هذا قام الشّخص بارتكاب الذّنوب، الّتي توجب له الخلود في نار جهنّم. فإنْ كان أحد يستحقّ أن يلام فهو.

النّتيجة: عبارة أوضح، إنَّ العذاب الّذي يُعاني منه المذنبون في عالم الآخرة، هو نتيجة أعمالهم الّتي اقترفوها. يقول القرآن في تعبير صريح:﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[1].

1- يس: 54.

النّتائج

بعد التّدبر بالآيات واستنطاق المراد منه، يظهر معنا أنّ أصل الخلود في نار جهنّم من الواضحات، ولكن بحسب ما يراه علماء الإماميّة، أنّه لن يخلد في نار جهنّم إلّا من كان مشركًا أو كافرًا.

ولكن قد قد يظهر بدوًّا من بعض الآيات، أنه سيخلد في نار جهنّم أشخاص آخرون غير الكافر والمشرك، إلّا أنّه بعد التّدبر في تلك الآيات، يظهر أنّ كلّ العناوين الّتي ذكرت على أنّها مخلّدة في نار جهنّم، ترجع إلى عنواني الكافر والمشرك. فالمخلد في نار جهنّم هو الكافر والمشرك فقط لا غير، فلا مرتكِب القبائح يخلد، ولا مرتكِب الكبائر، ولا غيرهما كما ذهب إليه بعض علماء العامّة.

ولا يُقال إنّ القول بالخلود في النّار لا يتلاءم مع القول بالعدل الإلهي، لأنّ الخلود في النّار ليست عقوبة جعليّة على ما ارتكبه، بل إنّها أثرٌ لِمَا قام به في هذه للحياة. فالعذاب الأخرويّ هو تجسيد للعمل الدّنيوي الّذي قام به الشّخص.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. أبو زهرة، محمّد بن أحمد، تاريخ المذاهب الإسلاميّة في السّياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهيّة، القاهرة، دار الفكر العربي. لا. ت، لا. ط.
2. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1.
3. ابن نوبخت، إبراهيم بن اسحاق، الياقوت في علم الكلام، تحقيق عليّ أكبر ضيايي، قم المقدّسة، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النّجفي، 1413 ه. ق.
4. البحرانيّ، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق مؤسّسة البعثة، شعبة التّحقيقات الإسلاميّة، قم المقدّسة، 1415 ه. ق، ط1.
5. الحُرّ العامليّ، محمّد بن الحسن، الفصول المهمّة في أصول الأئمّة (تكملة الوسائل)، تحقيق محمّد بن محمّد الحسين القائينيّ، قم المقدّسة، مؤسّسة الإمام الرّضا عليه السلام للمعارف الإسلاميّة، 1418 ه. ق.، ط1.
6. الرّاغب الأصفهانيّ، حسين بن محمّد بن مفضل، المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر الكتاب، 1404 ه. ق.، ط2.
7. القزوينيّ الرّازيّ، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق محمّد عبد السّلام هارون، قم المقدّسة، مكتب الإعلام الإسلاميّ ـ مركز النّشر، 1404 ه. ق، ط1.
8. الزّبيديّ، محمّد بن محمّد مرتضى، تاج العروس في جواهر القاموس، تصحيح علي شيري، بيروت، دار الفكر، 1414 ه. ق.
9. الشّهرستانيّ، محمّد بن عبد الكريم الملل والنّحل، تحقيق محمّد بدران، قم المقدّسة، دار الشّريف الرّضي، 1985، ط3.
10. الشّهيد الثّاني، زين الدّين، حقائق الإيمان، تحقيق السّيد مهدي الرّجائي، قم المقدّسة، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النّجفيّ العامّة،1409ه، ط1.

11. الشّيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله الأمثل، ترجمة محمّد علي آذرشب، قم المقدّسة، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب1421 ،عليه السلام ه. ق.

12. الصّدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه الاعتقادات، تحقيق عصام عبد السّيد، قم المقدّسة، المؤتمر العالمي لألفيّة الشّيخ المفيد، 1413 ه. ق.

13. الصّدوق، محمّد بن عليّ ابن بابويه، التّوحيد، تحقيق هاشم الحسينيّ، قم المقدّسة، جماعة المدرّسين، 1398 ه. ق.، ط1.

14. الصّدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه، الخصال، تحقيق على أكبر غفاري، قم المقدّسة، جماعة المدرّسين، 1403 ه. ق.، ط1.

15. الطّبرسي، الفضل بن الحسن، مَجْمَع البيان في تفسير القرآن، تصحيح فضل الله اليزديّ الطّبطبائيّ وهاشم الرسولي، طهران، ناصر خسرو، 1413 ه. ق.، ط3.

16. الطّبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، تصحيح أبو القاسم الگرجي، قم المقدّسة، مركز إدارة الحوزة العلميّة في قم، 1412 ه. ق.، ط1.

17. الطّبطبائيّ، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، 1390 ه. ق.، ط2.

18. الطّوسي، محمّد بن الحسن، التّبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، ط1.

19. الطّوسيّ، نصير الدّين، قواعد العقائد، تحقيق عليّ ربّاني الكلبايكانيّ، قم المقدّسة، النّاشر: لجنة إدارة الحوزة العلميّة، 1416ه،لا.ط.

20. الحِليّ، حسين بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تصحيح حسن زاده آملي، قم المقدّسة، جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقم، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، 1413 ه. ق.

21. العياشي، محمّد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق هاشم الرّسولي، طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران، 1380 ه. ق.، ط1.

22. الفيض الكاشانيّ، محمّد بن شاه المرتضى، تصحيح حسين الأعلميّ، طهران، مكتبة الصّدر، 1415 ه. ق.، ط2.

23. الكُلينيّ، محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق عليّ أكبر غفاري ومحمّد آخوندي، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1407 ه. ق.، ط4.

24. الكوفيّ الأهوازيّ، حسين بن سعيد، الزّهد، تحقيق غلام رضا عرفانيان، قم المقدّسة، المطبعة العلميّة، 1402 ه. ق.، ط2.

25. المُفيد، محمّد بن محمّد، تصحيح اعتقادات الإماميّة، تحقيق حسين درگاهي، قم المقدّسة، المؤتمر العالميّ لألفية الشّيخ المفيد، 1413 ه. ق.،414 ه. ق.

26. المُفيد، محمّد بن محمّد، سلسلة مؤلّفات الشّيخ المفيد، تحقيق عليّ ميرشريفي، بيروت، دار المفيد.

27. سليم بن قيس الهلاليّ، كتاب سليم بن قيس الهلاليّ، تحقيق محمّد الأنصاريّ الزّنجاني الخوئينيّ، قم المقدّسة، الهادي، 1405 ه. ق.، ط1.

28. علم الهدي، عليّ بن حسين، الذّخيرة في علم الكلام، تحقيق أحمد حسينيّ أشكوريّ، قم المقدّسة، جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقم مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، 1411 ه. ق.

29. فرات بن إبراهيم الكوفيّ، تفسير فرات الكوفيّ، تحقيق محمّد كاظم، طهران، وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلاميّ، مؤسّسة الطّبع والنّشر، 1410 ه. ق.

30. مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ، 1423 ه. ق.، ط1.